فضل شهر رمضان

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

إن لربنا فى دهرنا نفحات ، تأتينا نفحة بعد نفحة ، تذكرنا كلما نسينا ، وتنبهنا كلما غفلنا ، وتقوينا على عزائم الخير كلما ضعفنا .

إنها مواسم للخيرات ، يتيحها الله تعالى لعباده ، ليتزودوا منها ما استطاعوا ، وخير الزاد التقوى ﴿ . . . وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِى الأَلْبَابِ ﴾ (١) .

وإن أعظم مواسم الخير هو هذا الشهر الكريم ، شهر رمضان المبارك ، الذى فضله الله تعالى بنزول القرآن فيه ، أعظم الكتب ، كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، دستور خالد لهداية الخلق ، وقانون السماء لهداية الأرض ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ . . . ﴾ (٢) .

إن الله تعالى منّ على هذه الأمة بهذا الشهر من كل عام ، يزورها ضيفًا كريمًا ، فمن الناس من يحسن وفادته . . من الناس من يكرمه ، ومن الناس من يخرج عنه رمضان وهو يحمل له أسوأ الأثر والذكريات .

فطوبى لمن شفع فيه رمضان ، وطوبى لمن شفع فيه القرآن « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، قال فيشفعان » (٣) .

---

(١) البقرة : ١٩٧ .　　(٢) البقرة : ١٨٥ .

(٣) رواه أحمد ، والطبرانى فى الكبير ، ورجاله محتج بهم **فى الصحيح . ورواه** ابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن ، والحاكم **وقال : صحيح على شرط مسلم** ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/٣٠٩ ، **الحديث ٥٠٩**) .

رمضان موسم للخيرات يتيحه الله تعالى للإنسان ، هو موسم المتقين ومتجر الصالحين لكل بضاعة موسم ، ولكل تجارة موسم ، يترقبه أهلها ، لماذا ؟ ليزيدوا من [illegible] ويضاعفوا من جهدهم ، عسى أن يزيد ربحهم ، وما قيمة الربح ؟ إنهم يزيدون النشاط ، فيركبون الأخطار ، ويصلون الليل بالنهار ، فى سبيل ربح قد يكون وقد لا يكون ، وإذا كان فقد ينتفعون به وقد لا ينتفعون ، وإذا انتفعوا به يومًا فإنهم عنه زائلون ، إن دام لهم فهم أنفسهم لا يدومون .

هب الدنيا تساق لك عفوًا أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل غـــــل أظلك ثم آذن بالـــــزوال

إن للدنيا تجارًا ، وإن للآخرة تجارًا ، تجار الدنيا يترقبون مواسمها ليربحوا ، وتجار الآخرة يترقبون مواسمها أيضًا ليربحوا ، ولكن ربح هؤلاء غير ربح أولئك ، إن ربحهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار ، تجار الآخرة هم كما وصفهم الله : ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةَ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ (١) .

يأتى رمضان كل عام فرصة للإنسان المسلم ، ليزداد من الخيرات ، ويقلل من أسباب السيئات .

الخير مفتوحة أبوابه ، الجنة مفتحة أبوابها ، والنار مغلقة أبوابها ، والشياطين مقيدة مصفدة ، دلالة على أن أسباب الخير كثيرة متوافرة ، وأسباب الشر قليلة محدودة .

فيا سعادة من انتفع بهذه الفرصة ، جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين»(٢) وجاء فى بعض الأحاديث : « . . . وينادى مناد يا باغى الخير أقبل ،

---

(١) النور : ٣٧ .

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣١٢ ، الحديث ٥١٧) .

ويا باغى الشر أقصر . . . » [1] . « يا باغى الخير أقبل ، الفرصة أمامك ، بحسبك من الغفلة عن الله أحد عشر شهرًا مضت ، يا طالب الخير أقبل ، الحسنات تضاعف، الباب مفتوح ، ضع يدك فى يد الله عز وجل ، يا باغى الخير أقبل على الله بحسن الصيام وحسن القيام والإكثار من الطاعات .

حسن الصيام : ألا يكون صيامك مجرد صيام البطن والفرج ، ولكن لسانك مفطر، وعينيك مفطرتان ، وأذنيك مفطرتان ، وجوارحك مفطرة .

عينك مفطرة بالنظر إلى الحرام ، ولسانك مفطر بالكذب أو الغيبة أو النميمة أو السخرية أو اللغو ، وأذنك مفطرة بسماع الأغانى الفارغة ، وسماع الألفاظ السخيفة، لا ينبغى لك أيها المسلم أن يصوم بطنك وفرجك ، وكلك مفطر . تصوم عما أحل الله من الطعام والشراب ، وتفطر على ما حرّم الله من المعاصى ، يقول الحديث الصحيح : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » [2] لم يتأدب بأدب الإسلام ، ما دام لم يحصن نفسه من المعاصى: « . . والصيام جنة - درع من المعاصى ومن الآثام فى الدنيا ، ومن النار فى الآخرة، جنة كجنة أحدكم من القتال - فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد ، أو قاتله ، فليقل إنى صائم ، إنى صائم . . » [3].

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى كلهم من رواية أبى بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة . قال الترمذى : حديث غريب ، ورواه النسائى ، والحاكم ، بنحو هذا اللفظ ، وقال الحاكم : صحيح على شرطهما ، ووافقه الذهبى ، وحسن الألبانى إسناده للخلاف فى ابن عياش من قبل حفظه . وانظر نص الحديث كاملاً فى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣١٢ - ٣١٣ ، الحديث ٥١٧) .

(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وعنده « من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به » وهو رواية للنسائى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣٣٠ ، حديث ٥٦٨) .

(٣) رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم (المنتقى من كتاب **الترغيب والترهيب : ١/٣٠٧** ، برقم ٥٠٥) .

لا يقابل السيئة بالسيئة ، بل يقابل السيئة بالحسنة . يتذكر أنه فى عبادة ينبغى ألا تخدش ولا تجرح ، فيقول بقلبه ويقول بلسانه ، مخاطبًا نفسه ومخاطبًا من يسبه ويشتمه ، يقول : إنى صائم إنى صائم .

الأمر إذن ليس كما يفعل كثير من سفهاء الناس ، يتطاول أحدهم بلسانه على الخلق ، ثم يقول : أعذرنى فإنى صائم ، كأن الله شرع الصيام ليفسد أخلاق الناس! لا ، بل ينبغى للصائم أن ينضبط . . أن يهذب نفسه . . أن يصون لسانه ، كما يصون أذنه ، كما يصون عينيه ، كما يصون جوارحه كلها « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع » [1] أتعب نفسه ، وأجهد جسمه ، وأجاع بطنه ، ولكنه لم يقم للصيام بحقه .

ذهبت عائشة رضى الله عنها ، وذهب الأوزاعى ، وذهب الظاهرية ، وذهب عدد من فقهاء السلف ، إلى أن الغيبة والنميمة والكذب والمعاصى كلها تفطر الصائم، ومن ارتكب شيئًا من ذلك فعليه أن يقضى يومًا بدل هذا اليوم . وقال سائر الصحابة وجمهور العلماء : إنها لا تفطر الصائم ، ولكنها تذهب بثوابه وأجره عند الله [2] . وهل هذا هين ؟ أن تجوع وتظمأ ، ويجف ريقك يومًا كاملاً ، ثم بعد ذلك لا يكون لك مثوبة عند الله ، تخرج خاوى الوفاض ، بادى الأنفاض ، ليس لك شىء .

صن نفسك ، صن لسانك ، صن أذنيك ، صن عينيك ، صن يديك ، صن رجليك ، صن جوارحك كلها ، حتى لا تمس حرامًا ، ولا تفعل حرامًا .

حاول أن تتطهر فى هذا الشهر الكريم ، إنه شهر التطهر ، الله أتاح لنا فرصة بعد فرصة لنتطهر . علم الله أن فينا ضعفاً ، وأنه خلقنا خلقًا مزدوج الطبيعة ، فينا الطين

---

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له من حديث أبى هريرة ، ورواه النسائى وابن خزيمة فى صحيحه، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣٣٠ ، برقم ٥٧٠) وتمامه « ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

(٢) ذكر الشيخ هذه المسألة بشىء من التفصيل تحت عنوان : هل المعاصى تفطر الصائم ؟ فى كتابه (فقه الصيام : ص ٨٦ - ٨٩) فلتراجع هناك .

وفينا الروح ، فينا الصلصال والحمأ المسنون ، وفينا سر قوله تعالى : ﴿ . . وَنَفَخْتُ فيه من روحي . . . ﴾ (١) فأحياناً يغلب الإنسان جانبه الطينى ، فيهوى إلى الأرض ويخلد إليها ، وأحيانًا يغلب جانبه الروحى ، فيرقى حتى يصعد إلى الملائكة .

الصيام شرعه الله لنا لنرقى إلى أفق الملائكة ، ليرتقى فينا الجزء الربانى السماوى على الجزء الأرضى الطينى .

الإنسان ليس جسمًا فقط ، الإنسان جسم وروح ، بل الروح هو الحقيقة ، والجسم هو الغلاف ، فلا يجوز له أن يعيش لجسمه وبدنه ، ويغفل نفسه وروحه التى بين جنبيه .

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمتـــه ... أتطلب الربح مما فيه خســـران ؟!

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنســـــان

من هنا شرع الله الصيام ليرقى بالإنسان ، ليرقى بنفسه وروحه ، حتى يكون إنسانًا حقًا ، فلقد عاش بعض الأحيان أقرب إلى الحيوان ، وربما أقرب إلى الشيطان ، ورمضان فرصة ليتطهر ويصعد إلى أفق أعلى .

هذه فرصتك أيها الإنسان المسلم ، الصيام يقربك من الله عز وجل ، لأنك حرمت نفسك مما اعتدته من قبل ، لا لشىء إلا لإرضاء الله تبارك وتعالى . ما الذى غير نظام حياتك ؟ كنت تأكل فى الصباح ، وتأكل فى الظهيرة ، فغيرت هذا النظام ، ثرت على مألوفاتك ، ما الذى جعلك تفعل هذا ؟ إنه العبودية لله تبارك وتعالى ، ولذلك جاء فى الحديث : « كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله : إلا الصوم فهو لى وأنا أجزى به ، يدع الطعام من أجلى ، ويدع الشراب من أجلى ، ويدع لذته من أجلى ، ويدع زوجته من أجلى . . . »(٢) .

---

(١) الحجر : ٢٩ ، سورة ص : ٧٢ .

(٢) رواه ابن خزيمة فى صحيحه واللفظ له ، وراه البخارى ، ومسلم ، ومالك ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، مع اختلاف بينهم فى الألفاظ (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٣٠٨/١ ، برقم ٥٠٥) .

من أجل الله وحده ، يترك الإنسان ما تشتهيه نفسه ، ولهذا نسب الله هذه العبادة إليه .

الإنسان المسلم فى رمضان يرتقى ويتطهر ، الله أعطانا فرصة يومية للتطهر بالصلوات الخمس « أرأيتم لو أن نهرًا على باب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ - هكذا سألهم النبى ﷺ - قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا » [١] . فرصة يومية ، حمام يومى يغتسل فيه الإنسان كل يوم خمس مرات ، ليتطهر من أوضار ذنوبه ، وأنجاس خطاياه . ثم تأتى فرصة أسبوعية فى يوم الجمعة ، ثم تأتى الفرصة السنوية فى رمضان ، بصيامه وقيامه ، جاء فى الحديث الصحيح : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » [٢] و« من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غفر له ما تقدم من ذنبه » [٣] أى من الصغائر كما دلت الأحاديث الأخرى ، أما الكبائر فلا بد لها من توبة نصوح . وفى الصحيح « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » [٤] .

الصيام والقيام يؤديان بك إلى مغفرة الله تبارك وتعالى ، إذا أردت أن تخرج من هذا الشهر مغفورًا لك ، فعليك بأن تحسن الصيام ، وتحسن القيام . أن تصوم صوم المؤمنين المحتسبين ، وتقوم قيام المؤمنين المحتسبين .

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى من حديث أبى هريرة ، ورواه ابن ماجه من حديث عثمان (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/١٦٨ ، برقم ١٨٤).

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة (شرح السنة للبغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ٦/٢١٧ ، حديث ١٧٠٦) ومعنى (إيمانًا) أى تصديقًا بوعد الله تعالى ، ومعنى احتسابًا : أى طلبًا لوجه الله تعالى وثوابه .

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة ، ورواه مالك فى الموطأ (شرح السنة للبغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ٤/١١٦ ، حديث ٩٨٨) .

(٤) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ، كتاب الطهارة ، حديث (٢٣٣) . وانظر تعليق الشيخ القرضاوى عليه فى كتابه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/٢٣٩ ، الحديث ٣٥٨) .

ولهذا يا ويل أولئك الذين يأتى عليهم رمضان ، ولا يفرقون بينه وبين غيره من شهور العام ، أولئك الذين يتسمون بأسماء المسلمين ، ويعيشون بين ظهرانينا ، وينتهكون حرمة هذا الشهر الكريم ، هل يجوز أن يحدث هذا فى مجتمع مسلم ، لا والله . أولئك إما فسّاق عصاة ، أو مرتدون كفار والعياذ بالله .

من استخف بحرمة هذا الشهر ، من أنكر فرضيته ، فهو كافر مارق ، ينبغى أن يفرق بينه وبين زوجته وأولاده ، وأن يحكم عليه بالردة والمروق من الإسلام . ومن اعترف بحرمة هذا الشهر وفرضيته ، ولكنه أعلن أنه عاص بعمله ، فهذا فاسق عاص ، لا يحكم عليه بالكفر .

كان المسلمون قديمًا يصومون ويصوّمون صبيانهم وهم صغار ، حتى كانوا يأتون لهم باللعب من العهن . . الصوف المنفوش ، يسلونهم بها حتى يحين وقت الإفطار. ومن هنا كان على المسلم أن يدرب أولاده على الصيام حتى ينشأوا على هذه العبادة .

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوّده أبــوه

بعد السابعة إن أطاق الصبى الصيام يؤمر بالصيام ، إلى العاشرة فيضرب عليه إن أطاقه [1] . يمكن أن يصوم أيامًا ويفطر أيامًا ، حتى يمكنه بعد ذلك صوم الشهر كله ، الخير عادة والشر عادة ، وكما قال الشاعر :

وينفع الأدب الأحداث فى صغر وليس ينفع عند الشيبــة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلــت ولن تلين إذا قومتها الخشــب

إن الله تبارك وتعالى فرض علينا شهرًا واحدًا ، يقول بعض الأدباء : احمدوا الله، هناك ربيع أول وربيع ثان ، وجمادى أولى وجمادى آخرة ، ولكن رمضان

---

(١) ذكر الشيخ فى كتابه (فقه الصيام : ص ٣٧) أن الحديث الوارد فى شأن الصلاة « مروا أولادكم وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر » ينطبق على الصيام هنا بفارق واحد ، وهو مراعاة القدرة البدنية للصبى - أو الصبية - فقد يبلغ السابعة أو العاشرة ، ولكن جسمه ضعيف لا يحتمل الصيام ، فيمهل حتى يشتد عوده ويقوى .

واحد . ليس هناك رمضان أول ورمضان آخر ، هو رمضان واحد ، شهر من اثنى عشر شهرًا ، وطلب الله منا الصيام فيه من الفجر إلى غروب الشمس .

وما أعظم نعمة الله علينا فى هذه البلاد ، إنها ساعات محدودة ، هناك من يصوم عشرين ساعة أو أكثر فى شمال أوربا وأمريكا وكندا ، هناك من سألونى عن الصيام فى ذلك النهار الطويل ، ماذا يصنعون ؟ نحن نصوم ساعات محدودة معدودة ، يستطيع أى إنسان عنده عزم وقوة أن يصومها .

ومع هذا كله فإن الله رخص للإنسان أن يفطر لأعذار شتى : المرض عذر ، والسفر عذر ، والشيخوخة عذر ، والعمل الشاق عذر . من كان يعمل فى عمل شاق لا يقدر أن يقوم به يمكنه أن يفطر ويقضى بعد ذلك .

ولكن رأينا الناس والله فى القرى والأرياف ، رأينا العمال الذين يعملون فى البناء والأعمال الشاقة ، يتحملون حر الشمس فى وقدة الصيف ، ويظلون صائمين إلى آخر النهار ، إنها عزائم المؤمنين .

وهنا يسأل كثير من الطلاب فى هذه الأيام عن الصيام والامتحانات قائمة أو على الأبواب ، وأنا أقول : إن على كل مسلم أن ينوى الصيام ، وأن يعزم ويصمم عليه، وأن يتسحر ويستعد ، ثم يجرب نفسه : هل يستطيع أن يواصل أم لا يستطيع ؟ فإن وجد نفسه لا يستطيع أن يستوعب ، أو أن يفهم ، أو أن يهضم أو أن يؤدى الامتحان بجدارة ، فعنده رخصة فى الإفطار ثم عليه القضاء بعد ذلك .

أما أن ينوى الإفطار مقدمًا دون أن يحاول الصوم ، فمن أين له : أنه لا يستطيع؟.

وهناك أناس يستطيعون أن يغيروا نظامهم ، كثير من الناس يسهرون الليل كله فى رمضان ، فيستطيع الطالب أن يذاكر طوال الليل وأن ينام النهار لا يقوم إلا للصلاة، ومن تيسر له ذلك كان الأمر سهلاً عليه . المهم العزم على الصيام ، والصيام بآدابه التى شرعها الله تبارك وتعالى .

على المسلم أن يصوم من الفجر إلى غروب الشمس عن المفطرات كلها ، حتى إذا غربت الشمس بادر بالإفطار ، فإن النبى ﷺ قال : « لا يزال الناس

بخير ما عجلوا الفطر » [1] . وكان تعجيل الفطر وتأخير السحور من هديه وهدى أصحابه ، يقول الرسول الكريم : « إنا معاشر الأنبياء ، أمرنا أن نعجل فطرنا ، وأن نؤخر سحورنا ، وأن نضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة » [2] . وعن عمرو بن حريث ، وعمر بن ميمون قالا : كان أصحاب رسول الله ﷺ أسرع الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا [3] . و« كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلى على رطبات ، فإن لم تكن رطبات فتمرات ، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء»[4] .

تعجيل الإفطار وتأخير السحور إلى ما قبيل الفجر سنَّة .

ليس هناك فترة تسمى فترة الإمساك أو الاحتياط ، ليس فى الشرع شىء من هذا ، بل هذا نوع من الغلو الذى يرفضه الإسلام . النبى ﷺ نهى عن صوم يوم الشك ، اليوم الذى بعد التاسع والعشرين من شعبان ، نهى عن صومه منفردًا إلا أن يكون يوم عادة له صادف يوم خميس يصومه أو نحو ذلك [5] . لماذا ؟ حتى لا يحدث الناس غلوًا فى الدين ، ويصبح بعد مدة أمرًا عاديًا مشتركًا للأمة كلها . الإسلام ييسر ، الشريعة حنيفية سمحة ، فى آية الصيام : ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ . . . ﴾ [6] .

علينا أن نحسن الصيام ، وعلينا أن نحسن القيام « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا

---

(١) متفق عليه عن سهل بن سعد (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : حديث ٦٦٧).

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٣/ ١٥٥) : رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أثران رواهما الطبرانى فى الكبير ، ورجالهما رجال الصحيح (المجمع : ٣/ ١٥٤) .

(٤) رواه أبو داود عن أنس رضى الله عنه ، والترمذى وقال : حديث حسن ، ورواه الحاكم شاهدًا وصححه على شرط مسلم ، وسكت عليه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٢٩ ، برقم ٥٦٥) .

(٥) أخرج البخارى ، ومسلم ، من حديث أبى هريرة : « لا تقدموا بين يدى رمضان بيوم، أو يومين ، إلا رجلاً كان يصوم صيامًا فليصمه » (زاد المعاد لابن القيم بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط : ٢/ ٤٠ - ٤١) .

(٦) البقرة : ١٨٥ .

غفر له ما تقدم من ذنبه » [1] ، أن يقوم قيام المؤمنين المحتسبين ، ليس المقصود ركعات يؤديها الإنسان دون خشوع ولا اطمئنان ، والطمأنينة ركن فى الصلاة .

نريد أن يعيش الإنسان مع كتاب الله ، يعيش فى رحاب القرآن ، فرمضان شهر القرآن ، يعيش معه قارئًا ، يتلو ما استطاع من هذا الكتاب ، فله بكل حرف عشر حسنات [2] . ويعيش معه مستمعًا ، وما أحلى صلاة التراويح يقضيها الإنسان مع القرآن الكريم .

ليس المقصود هذه الصلوات التى نراها فى المساجد ، لا يخشع فيها قلب ، ولا يراقب فيها رب ، ولا يستقر فيها صلب . هذه الصلاة التى نرى أصحابها كأن وراءهم من يلهب ظهورهم بسوط ، ليست هى الصلاة المقصودة .

نريد الصلاة الخاشعة المطمئنة ، نريد أن يكون رمضان شهرًا لله تبارك وتعالى، أن يخرج الإنسان من هذا الشهر ، وحظه من المغفرة والرحمة والعتق من النار ، أن يكون من عتقاء الله تعالى من النار ، ولله فى كل ليلة عتقاء .

هذا هو شهر رمضان أيها الإخوة ، شهر رمضان ، شهر أتاحه الله لنا لنتطهر ، نتطهر من سيئاتنا ونتزود من الحسنات ونحاول أن نزيد من رصيدنا عند الله تبارك وتعالى ، الناس يحاولون أن يضاعفوا من رصيدهم فى المصارف والبنوك ، ومهما حاولوا فإن هذا لن يكون معهم يوم القيامة ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [3] .

لا حرج على الإنسان أن يزيد من رصيده إن كسبه من حلال ، ولم يبخل به عن واجب ، ولكن الأهم من ذلك كله ، هو الرصيد الذى ينفع فى يوم لا عملة فيه إلا الحسنات والسيئات .

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٠٦) .

(٢) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٤١٧ ، برقم ٧٧٣) .

(٣) الشعراء : ٨٨ - ٨٩ .

حاولوا أيها الإخوة المسلمون أن تزيدوا من رصيدكم عند الله عز وجل ، اعزموا- ونحن فى أول الشهر - أن تجعلوا هذا الشهر شهرًا خالصًا لله تبارك وتعالى ، أن تجعلوه شهرًا للصيام وللقيام وللخيرات ، وأن تبذلوا فيه لله عز وجل ، اخرجوا زكاة أموالكم ، أدوا ما عليكم من حقوق ، من كان عليه دين فليقض دينه، فإن الديون يسأل عنها الإنسان يوم القيامة ، ولا ينفع فيها صلاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة .

نحن الآن فى زمان تكاثرت فيه علينا المصائب من كل جانب ، وتداعت الأمم علينا كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، يختلف أولئك فيما بينهم ويتفقون علينا نحن المسلمين ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . . . ﴾ (١) .

لا ينجينا أيها الإخوة مما نحن فيه إلا رجعة صادقة إلى الله تبارك وتعالى ، إلا أن نقرع باب الله قرع التائبين المنيبين ، الراجين الخائفين ، وهذا أوان هذه الرجعة ، هذا هو موسم التوبة والإنابة ، فلنقل جميعًا ما قال أبونا آدم وأمنا حواء : ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

ما أحوجنا أن نرجع إلى الله فى هذا الشهر ، أن ندعوه بقلوب خاشعة ضارعة ، وأيد ممدودة إليه مبتهلة ، أن ينجينا مما نحن فيه ، أن يكشف عنا غمتّنا ، ويفرج كربتنا .

ما أحوجنا إلى أن ندعو ، وللصائم دعوة ما ترد عند فطره ، كما جاء فى الحديث : « إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » (٣) . وجاء فى الحديث الآخر : «ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر - وفى رواية الصائم حتى يفطر - والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » (٤) .

---

(١) الأنفال : ٧٣ ، وتمامها ﴿ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ .

(٢) الأعراف : ٢٣ .

(٣) رواه ابن ماجه ، وذكر البوصيرى فى الزوائد أن إسناده صحيح . وانظر تعليق الشيخ القرضاوى على الحديث فى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣١٠ ، الحديث ٥١٢) .

(٤) رواه أحمد ، والترمذى وحسنه واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ، وكذا حسنه الحافظ ، وصححه الشيخ شاكر فى تخريج المسند (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣١٠ ، الحديث ٥١٣) .

ما أحوجنا إذا ما أقبل الليل من ههنا ، وأدبر النهار من ههنا ، وغربت الشمس، وتهيأنا للإفطار أن نمد أيدينا إلى الله داعين لأنفسنا وأهلينا والمسلمين فى كل مكان ، بالمغفرة والرحمة ، وللمضطهدين والمعذبين والمجاهدين ، بالفتح والنصر والنجاة ونقول : « ذهب الظمأ وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى » (١) .

أقول قولى هذا أيها الإخوة ، وأستغفر الله تعالى لى ولكم ، فاستغفروه يغفر لكم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيها الإخوة :

رمضان شهر الصيام والقيام ، فعلى كل مسلم - ومسلمة أيضًا - أن يتهيأ للقيام تهيؤه للصيام . وينبغى للزوج أن يتيح لزوجته أن تذهب إلى المسجد لصلاة التراويح، فتكسب الصلاة ، وتكسب الموعظة والدرس ، ويشاركها فى الأجر ، دون أن ينقص من أجرها شىء ، وقد كان النساء فى عصر النبى ﷺ يذهبن إلى المسجد ويشهدن صلاة الجماعة ، حتى الفجر والعشاء حتى إنهن كن يدخلن مع الرجال من باب واحد ، فقال النبى ﷺ : « لو تركنا هذا الباب للنساء » (٢) . فجعلوه للنساء، ولا زال يسمى (باب النساء) إلى اليوم ، بمسجد الرسول ﷺ .

علينا أن نتيح الفرصة لزوجاتنا وبناتنا للذهاب إلى صلاة التراويح ، وأن نحرص عليها فى المساجد التى تؤديها أداء حسنًا ، حتى يكون حظنا أوفر عند الله تبارك وتعالى ، ونحن على العادة إن شاء الله سنصلى التراويح فى (الجامع الكبير) كما هى عادتنا .

---

(١) رواه أبو داود ، والدارقطنى ، وحسّن إسناده ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى . وانظر تعليق الشيخ القرضاوى عليه فى كتابه (فقه الصيام : ص ١١٠) .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة من سننه برقم (٤٦٢) عن ابن عمر ، وفيه قال نافع : فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات . وفى رواية : أن راوى الحديث عمر لا ابنه ، فيكون منقطعًا . وقد أعاده أبو داود برقم (٥٧١) .

ونصيحتى للإخوة الذين يحرصون على صلاة التراويح هناك ، أن يأتوا متجمعين ما أمكن ، أى كل مجموعة من الأصدقاء والجيران يأتون فى سيارة واحدة ، نظرًا لضيق المواقف هناك ، وأن تُخلى الأماكن القريبة لمن يأتى ومعه أسرته ، وهذا من باب التعاون ، ورمضان شهر المواساة . . . شهر التعاون ، كما أنه شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا فى هذا الشهر من المقبولين . اللهم أخرجنا من هذا الشهر الكريم مغفورًا لنا . اللهم اجعل حظنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النار ، اللهم أعنا على أن نصوم نهاره إيمانًا واحتسابًا ، وأن نقوم ليله إيمانًا واحتسابًا. اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم اجعل كلمة الإسلام هى العليا ، واجعل كلمة أعداء الإسلام هى السفلى .

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام . اللهم رد عنا كيدهم ، وفلّ حدّهم ، وأحبط مكرهم ، وخذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر ﴿ . . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) ﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) . ربنا واجعلنا مقيمى الصلاة ومن ذرياتنا ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .

عباد الله يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

وأقم الصلاة .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٤٧ . (٢) الحشر : ١٠ . (٣) الأحزاب : ٥٦ .

الذكرى السنوية للانتفاضة [1]

● الخطبة الأولى :

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

انقضى عام على ثورة المساجد ، بدأت ثورة المساجد تدخل عامها الثانى بتوفيق من الله تبارك وتعالى وتأييده .

أقول : ثورة المساجد ، فهذا هو العنوان الحقيقى لها ، ليست مجرد انتفاضة ، الانتفاضة أمر عارض يطرأ ثم يزول وهكذا كانوا يظنونها ، زوبعة فى فنجان ، أو شرارة تتطاير ثم سرعان ما تنطفىء .

ما علموا أنها إعصار فيه نار ، يدمر كل شىء بأمر الله ، كل شىء من جبروت اليهود ، وباطل اليهود ، وغطرسة اليهود .

دخلت ثورة المساجد عامها الثانى ، الثورة التى انطلقت من بيوت الله أساسًا ، وهكذا كان يطلق عليها مدة من الزمن ، ثم رئى أن يخفى هذا العنوان (ثورة المساجد) ، ليظهر عنوان آخر : ثورة الحجارة ، وأطفال الحجارة ، ولا بأس بذلك.

إنها حجارة من سجيل إن شاء الله ، حجارة من سجيل ، تحملها طير أبابيل ، هم أشبال غزة والقدس والخليل ، تحمل هذه الحجارة لترمى أعداء الله وسلالة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت ، لتجعل كيدهم فى تضليل وتجعلهم بإذن الله كعصف مأكول .

---

(١) فى الثامن من ديسمبر عام ١٩٨٧م انطلقت الانتفاضة المباركة من مخيم (جباليا) فى قطاع غزة ، بقيادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) . وكانت الشرارة الأولى هى حادثة (المقطورة) التى راح ضحيتها أربعة من أبناء فلسطين انتقامًا لطعن مستوطن يهودى على يد أحد الشباب المسلم فى قطاع غزة قبلها بيومين ، واقرأ قصة الانتقاضة ودوافعها وأهدافها وسماتها والظروف التى أحاطت بانطلاقها ، فى كتاب (الانتفاضة المباركة ومستقبلها) للأستاذ جهاد محمد جهاد .

(الحجارة) هذا السلاح الجديد ، أصبح شيئًا مرعبًا مخيفًا . انظروا - أيها الإخوة- كيف يتحول الشيء البسيط إلى سلاح مرعب مخيف !! إن الدبابات ، وإن المدافع وإن البنادق وإن الذخائر الحية ، وإن الأسلحة التى تشترى بالملايين لا تغنى شيئًا إذا لم تجد المجاهد الذى يحسن استعمالها ، ويحملها بقلب لا يهاب الموت ، فهو يراه عين الحياة ما دام فى سبيل الله ، وهو ينشد مع ذلك المجاهد القديم :

ولست أبالى حين أقتل مسلـــــمًا على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشـــــأ يبارك على أوصال شلـــو ممـــزع

فى سنة (١٩٦٧) دخلوا بأسلحة تسد عين الشمس ، أسلحة اشتريت بأقوات الشعب ، وعصارة الأرزاق ، ودفع فيها ما دفع من ملايين ، بل بلايين ولكنها لم تجد الجندى المؤمن الذى يموت دونها ، بل وجدت من يترك دبابته ويولى الأدبار ، ويقول : الفرار الفرار ، أنج سعد فقد هلك سعيد ، اذهب بنفسك ، لم يكلف خاطره أن يشعل فيها عود ثقاب ، فلا لى ولا لأعدائى ، ولكن إذا وجد الخذلان ، أصبح كل شيء ضدك ، حتى السلاح الذى فى يدك .

الأسلحة لا تقاتل بنفسها ، وكما قال الشاعر العربى قديمًا :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كـــرام

ماذا تغنى الخيل ، وماذا تغنى الرماح ؟ وماذا يغنى السلاح ؟ إذا لم يكن فوق الفرس فارس ، إذا لم يعْلُ ظهر الخيل خيّال .

الأسلحة لا تغنى وحدها ، لا بد من المقاتل المؤمن ، صاحب الرسالة ، الذى يقاتل عن هدف . ولهذا حينما وجد هذا المقاتل ، ولو كان صبيًا يافعًا فى ميعة الصبا ، وزهرة العمر ، يجد من الحصى سلاحًا ، يجد من الحجارة - التى عن يمينه وشماله وطالما مشى عليها ووطئها بقدميه - سلاحًا يرمى بها عدو الله وعدوه ، فإذا بهذا العدو يستخذى ، ويختبىء ويخاف ويحتار : ماذا يصنع أمام هذا السلاح الذى لا يفل ؟! وصدق الله العظيم حينما قال فى حصيات رمى بها النبى ﷺ يوم بدر فى وجوه المشركين . . . حفنة من تراب رمى بها فى تلك الوجوه العكرة وقال:

« شاهت الوجوه » ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (١) ، فما بقى مشرك إلا دخل هذا التراب عينيه وأنفه وفمه ، ومضى لا يلوى على شىء ، قال الله تعالى فى ذلك : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى . . . ﴾ (٢) .

الله رمى برمية رسوله ، والله رمى اليهود برمية هؤلاء الغلمان . . . الصبية اليافعين ، رمى الله اليهود بهذه الحجارة .

المهم إذن هو الإنسان المؤمن ، الإنسان الذى يقاتل لهدف ، الذى يقف على أرض صلبة ، لا يتزلزل ولا يتزعزع ، الإنسان الذى يرى الجنة أمامه ، ويجعل رضا الله مرامه ، هذا هو الإنسان الذى نريده .

نريد لهذه المرحلة هذا الإنسان ، وهذا ما صنعته ثورة المساجد . ربت الأطفال على حصير المساجد ، ربتهم على القرآن ، على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وضعت أمامهم نماذج الصحابة والتابعين ، صورة الأبطال الفاتحين ، صورة أبى عبيدة، وخالد ، وعمرو ، وعماد الدين زنكى ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبى ، وضعت أمامهم صورة السابقين واللاحقين من الشهداء الأبرار ، ربت هؤلاء على هذه المعانى الحية ، فكانت منهم الأيدى المتوضئة ، كما سماها أديب العربية والإسلام (مصطفى صادق الرافعى) منذ أكثر من نصف قرن ، قصة الأيدى المتوضئة التى كانت تعمل من أجل فلسطين وقضية فلسطين .

نريد الأيدى المتوضئة ، الأيدى الطاهرة النظيفة ، والقلوب الطاهرة النظيفة وراء هذه الأيدى .

ثورة المساجد صنعت هذا ، هيأت هذه الفئة ، فئة الإنقاذ ، الطائفة المنصورة المختارة ، التى تنبأ بها رسول الله ﷺ وبشر بها منذ أربعة عشر قرنًا ، فيما رواه أحمد عن أبى أمامة ، عن النبى ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، إلا ما أصابهم من لأواء -

---

(١) القمر : ٤٥ .

(٢) الأنفال : ١٧ .

أى من شدة وأذى - حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك . قيل : يا رسول الله ، وأين هم ، قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس » [1] .

هذه الفئة المؤمنة هى معقد الأمل ، هى موطن الرجاء ، هى التى تعلق عليها الآمال فى المستقبل لتحرير فلسطين ، فإن فلسطين لا تحرر إلا بهؤلاء .

المعركة مستمرة ، وهى معركة شرسة ومعركة طويلة الأمد ، هذه طبيعتها ، إنها صراع بين عقيدتين ، وصراع بين حضارتين .

إنه الصراع بين الإسلام واليهودية ، صراع بين الحضارة الإسلامية الربانية الأخلاقية الإنسانية ، وحضارة العجل . . . العجل الذهبى ، حضارة أمة تعبد الذهب ، ولا تبالى فى سبيله بأى شىء .

ولهذا نرى وجودها فى أرضنا وفى منطقتنا خطرًا ، خطرًا علينا ، خطرًا على عقائدنا ، خطرًا على قيمنا ، خطرًا على تقاليدنا ، خطرًا على وحدتنا ، خطرًا على استقلالنا ، خطرًا على اقتصادنا ، إنها الشوكة التى فى جنوبنا ، إنها الخنجر فى ظهورنا ، إنها الداء الوبيل الذى غرس فينا .

لا تستطيع هذه الأمة أن تتوحد وهذه موجودة فيما بيننا ، هى التى تنشر الوباء ، تنشر السموم البيضاء ، تنشر المخدرات ، تنشر السموم بشتى ألوانها . . الدعارة الظاهرة والخفية ، إنا دولة سوء ، إنها بؤرة فساد وإفساد .

ولهذا لا نتصور أن يوجد بيننا وبينها سلام . . . أى سلام بين لص يدخل الدار ويغتصبها من صاحبها ، وبين صاحب الدار ؟! .

يقولون : الأرض مقابل السلام ، ما معنى هذا ؟! أنا لست محترفًا للسياسة ، ولكنى أفهم فى اللغة ، فما معنى الأرض مقابل السلام ؟ أرض من ؟ أرضنا نحن مقابل سلامهم ؟! يعطوننا أرضنا مقابل أن يعيشوا هم على أرضنا أيضاً فى سلام ؟!

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه فى المسند (٥ : ٢٦٩) كما أورده الحافظ نور الدين الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧ : ٢٨٨) وقال : رواه عبد الله (ابن الإمام أحمد) وجادة عن خط أبيه ، والطبرانى ، ورجاله ثقات وفيه : « إلا من جابههم » ولعلها غلط ناسخ أو طابع .

الأرض التى اغتصبوها قديمًا ، نتركها لهم مقابل أن يتركوا لنا جزءًا من أرضنا ؟! لا أستطيع أن أفهم ، لا أفهم شيئًا .

لا أفهم أن العدوان الجديد يضفى الشرعية على العدوان القديم ، العدوان عدوان مهما طال زمنه .

إن فلسطين كلها أرض عربية إسلامية ، قلت وسأظل أقول : إنها ملك للفلسطينيين، وملك للعرب وملك للمسلمين ؛ وليست ملكًا لهذا الجيل من المسلمين، بل ملك الأجيال الإسلامية جميعًا ، ولا يملك أحد أن يبيع منها شبرًا .

لو أن الفلسطينيين تنازلوا عنها ما وسعنا نحن أن نتنازل عنها . إنها أرض المسجد الأقصى ، إنها أرض النبوات ، الأرض التى وصفها القرآن : بأن الله بارك فيها للعالمين (١) ، أرض الإسراء والمعراج ، فيها أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين، هذه الأرض لا نتنازل عن شبر منها .

لا أستطيع أن أقول : إن (يافا) و(حيفا) و(عكا) و(اللد) و(الرملة) وسائر هذه البلاد ليست من فلسطين .

لقد قدر لجيلى أن يعيشوا هذه المأساة من وقت بعيد ، لعل كثيرًا من الشباب الذين يسمعوننى اليوم ، لم يعايشوا ما عايشت ولم يعاصروا ما عاصرت .

لقد شهدنا هذه المدن . . عرائس البحر ، تسقط واحدة بعد أخرى ، وكأن عضوًا من أعضائنا يسقط ، وكأن قطعة من قلوبنا تقطع ، وكنا نقول : لا بد من أن تعود ، لا بد أن ترجع ، ولا يمكن أن نتصور فلسطين بدون (حيفا) أو(يافا) أو (عكا) أو هذه البلاد .

هذه الأرض أرضنا ، عاش عليها أباؤنا وأجدادنا ، ارتفعت فيها المآذن ، ودوت بـ (لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) ، ودفن فيها . . فى ترابها . . فى ثراها المؤمنون ، عاشوا عليها أحياء ، ودفنوا فى ثراها أمواتًا .

هذه أرضنا لا بد أن نقاتل عنها .

---

(١) فى قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ ، [الأنبياء: ٧١] .

ثورة المساجد مستمرة ، حتى تحرر فلسطين . . كل فلسطين ، يمكن للساسة أن يلعبوا بما شاؤوا كرًا وفرًا ، يأخذون بعض ما يأخذون ، لا أريد أن أتهم أحدًا بخيانة ، فللناس أن يجتهدوا ، ولكنى أقول من منطلق دينى ومنطلق إسلامى : إن الأرض التى عاش عليها الإسلام لا يمكن التسليم بذهابها إلى الأبد ، لا بد أن تعود .

ليكرّوا ويفرّوا كما شاؤوا فى مجال السياسة ، ومن حق الفلسطينيين أن تكون لهم دولة ، وأن تقوم لهم دولة ، وهذا هو الحد الأدنى ، ولكن على أن يكون ذلك مرحلة من مراحل الكفاح ، مرحلة من مراحل الجهاد ، ليس هو نهاية المطاف. لا . . لا يمكن أن يكون ذلك نهاية المطاف ، إن المعركة مستمرة .

والعجيب أنه رغم التساهلات ، ورغم التنازلات ، فإن الغطرسة اليهودية الصهيونية ترفض ذلك كله ، تقول : لا ، لا نعطى شيئًا ، ليس أمامكم إلا الخروج من هذه الأرض ، اذهبوا حيث شئتم ، ابحثوا عن وطن بديل ، هذا ما يريده هؤلاء. يرضى القتيل وليس يرضى القاتل ! إن الأمر جد إذن لا بد أن نأخذ حقنا بأيدينا .

الحجارة وثورة الحجارة ، وأطفال الحجارة ستستمر ، ستفرض عليهم - إن شاء الله - أن يتنازلوا هم . لا ، لا أقول : يتنازلوا ، ستفرض أن يعترفوا بما لأهل فلسطين من حق .

إن هذه القضية التى طالت وطالت منذ كنت طالبًا فى القسم الابتدائى بالأزهر ، وأنا أتحدث عن فلسطين اتحدث عنها نثرًا وانظم فيها شعرًا منذ كنا طلابًا ، كنا نقود المظاهرات ، ونسير المسيرات فى كل عام من أجل فلسطين ، فى يوم (٢ نوفمبر). . فى ذكرى وعد بلفور ، ونتحدث فى ذكرى الإسراء والمعراج فى كل عام عن المسجد الأقصى ، ولا زال الأمر مستمرًا .

القضية مستمرة ، المعركة مستعرة الأوار ، ولا بد لها من وقود يقدم ، الأبناء والأشبال ، الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ، يقدمون الشهداء ، يقدمون الضحايا .

الشباب اليافع ، الفتاة المحجبة ، الأم الشجاعة الصبور ، الشيخ الفانى الذى لايزال قلبه شابًا ، هؤلاء هم الذين نراهم وراء هذه الثورة المؤمنة .

ضربوا بالرصاص البلاستيكى ، وضربوا بغازات الأعصاب التى تفعل فعلها فى الأبدان والأنفس ، ودقت عظامهم بأعقاب البنادق ، ودفن مَنْ دفن منهم أحياء ، وجرفتهم الجرافات تحت التراب ، على أن يفت ذلك فى أعضادهم ، أن يدخل الرعب على قلوبهم ، ولكن هؤلاء الشباب لن يخافوا ، لأن معهم الناصر الذى لا يهزم ، القوة التى لا تغلب ، معهم الله تبارك وتعالى .

يد الله أعلى من أيدى أولئك ، وقدرة الله فوق قدرتهم ﴿ . . . وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ، وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ . . . ﴾ (١) .

إن المعركة بيننا وبين اليهود قديمة جديدة . قديمة منذ عهد بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، الذين عاهدهم النبى ﷺ فغدروا به ، وانضموا إلى أعدائه ، فكان جزاؤهم ما عرفه التاريخ .

هؤلاء اليهود ضمّهم الإسلام فى رحابه ، أدخلهم تحت جناحه ، فتح لهم صدره الحنون ، رفضتهم الدنيا ولفظتهم لفظ النواة ، وشردهم العالم من شرق وغرب ، فلم يجدوا كهفًا يأوون إليه إلا دار الإسلام ، لم يستظلوا إلا بظل المسلمين ، ثم نجدهم تغلب عليهم طبيعتهم الغادرة ، فينقلبون على من آواهم وحماهم ، ويأبون إلا أن يقيموا فى أرض الإسلام وطنًا لهم فى فلسطين ، عرضت عليهم أوطان أخرى بديلة ، فأبوا إلا هذه الأرض ، والأمر كما قال المجاهد الكبير الحاج (أمين الحسينى) رحمه الله : إن فلسطين ليست وطنًا بغير شعب ، حتى تستقبل شعبًا بغير وطن ! فلسطين لها شعبها وأهلها .

هؤلاء انقلبوا على المسلمين ، يريدون أن يخرجوا أهل فلسطين ، وقد فعلوا إلى حين وإلى حد ما ، استطاعوا أن يخرجوا أهل فلسطين من ديارهم ، وقد أخرجوا منهم مَنْ أخرجوا ، وأراد أن يهودوا الباقين ، الذين يعيشون فى قلب ما سموه (إسرائيل) ، والذين سمّوهم (عرب إسرائيل) .

---

(١) الحشر : ٢ .

أرادوا أن يهودوهم فكرًا وشعورًا ، وثقافة وسلوكًا ، إن لم يقدروا على تهويدهم ديانة وعقيدة . وفعلاً فى وقت من الأوقات كاد هؤلاء يذوبون فى المجتمع الإسرائيلى، لم تكد تعرف لهم هوية ، إذا دخلت فى الأرض المحتلة من سنة (١٩٤٨) لا تكاد تعرف (محمدًا) من (حاييم) ، ولا تكاد تعرف (فاطمة) من (راشيل) لا تكاد تعرف المسلم من اليهودى ، الكل قد ساروا فى موجة هذه الحضارة الزائفة الوافدة .

كادوا يقتلعون الهوية الإسلامية من الشعب الفلسطينى الذى يعيش فى ظل تلك الدولة الملعونة ، ولكن جاءت الصحوة الإسلامية فردّت إلى هؤلاء الروح ، وسرت فى الجسد الميت حياة جديدة ، انتبه هؤلاء إلى أنفسهم ، بدأ المسلم يعرف أنه مسلم، بدأت المسلمة تشعر بانتمائها ونسبها .

بدأ فى هذا المجتمع شىء جديد قلب الموازين ، قلب الحسابات والمعادلات ، وكان ثمرة هذه الصحوة : هذه الانتفاضة ، أو هذه الثورة ، أو هذه الحركة ، حركة المقاومة الإسلامية ، كان هذا كله نتيجة وثمرة للصحوة الإسلامية . . الصحوة الإسلامية هى صانعة هذا التيار الجديد ، التيار الذى أقلق إسرائيل ، ومن وراء إسرائيل .

لقد فرضت هذه الفئة المؤمنة الجديدة نفسها على التاريخ ، بعد أن كاد التاريخ ينساها ، بعد أن أصبحت قضية فلسطين قضية لاجئين ، بعد أن أصبح الأمر ميئوسًا منه ، فلا السياسة العربية قادرة على شىء ، ولا المنظمات والهيئات الفدائية قادرة على شىء ، استرخى الجميع ، واستناموا ، وأصبحت حركة شبه يائسة ، ماذا نصنع؟

أعادت هذه الصحوة ، وهذه الانتفاضة ، وهذه الثورة المؤمنة الربانية الجديدة ، أعادت الروح إلى الجسد الهامد . بدأ العالم كله يتحدث عن الانتفاضة . . عن الثورة . . عن صبية الحجارة .

إننا نحن أبناء هذه الأمة ، لا يحركنا شىء كما تحركنا كلمة الإيمان ، لا ينهضنا شىء كما تنهضنا العقيدة ، لا تفعل فينا كلمة ، كما تفعل كلمة (لا إله إلا الله والله أكبر) .

فى سنة (١٩٦٧) حينما كان شعارهم : بر . . بحر . . جو ، لم ينتصروا فى بر ولا بحر ولا جو . وفى سنة (١٩٧٣م) أو (١٣٩٣ هـ) على الحقيقة ، فأنا أفضل أن أسميها حرب العاشر من رمضان ، لا حرب السادس من أكتوبر .

فى ذلك الوقت كان الشعار : الله أكبر ، الله أكبر فعلت فعلها .

قُد هذه الأمة بالإيمان تصنع الأعاجيب ، ارفع أمامها المصحف وقل : يا رياح الجنة هبى ، ويا خيل الله اركبى ، ويا كتائب الله سيرى ، ثم انظر ماذا ستصنع هذه الأمة !

لقد طالما عزفوا على معزوفات : القومية ، والاشتراكية ، والديمقراطية ، والتقدمية ، فلم تحرك هذه ساكنًا ، ولم تنبه من الأمة غافلاً ، ولكن حينما حركت هذه الأمة بالإيمان . . بالإسلام . . بالتوحيد . . بـ (لا إله الا الله) عادت إليها الروح .

هذه الحقيقة أكدها التاريخ ، من يقرأ التاريخ فى مده وجزره ، فى أيام النصر وأيام الهزيمة ، فى معارك التاريخ القريبة والبعيدة ، يجد أن الإيمان هو الذى يحرك هذه الأمة .

الإيمان . . الإسلام . . القرآن . . أحلام الجنة ، هى التى تحرك الأمة ، هذا ثابت بيقين ، ونحن محتاجون إليه دائمًا ، ولكننا أشد ما نحتاج إليه فى وقتنا هذا وفى قضية فلسطين خاصة . . قضية فلسطين لا يمكن أن تنتصر إلا إذا أصبحت قضية إسلامية ذلك لأن عدونا بقاتلنا باسم الدين . اليهود تجمعوا فى فلسطين من شرق وغرب ، ومن أمريكا ومن روسيا ، من بلاد العرب والعجم ، ومن هنا ومن هناك، ما الذى جمعهم من شتات ؟ ما الذى جاء بهم من الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ؟ إنها العقيدة اليهودية ، إنها الأحلام التوراتية ، إنها التعاليم التلمودية ، إنها اللغة العبرية ، هذا هو الذى جمعهم .

لقد كانوا فى بلادهم يعيشون آمنين ، بل كان منهم من يملك الملايين ، ومن لهم نفوذ يستطيعون أن يؤثروا به على السلاطين ، ولكنهم تركوا هذا كله ، وجاءوا من أجل أن يقيموا دولة . . . دولة لها اسم دينى تاريخى ، سمى باسم نبيهم الكبير : إسرائيل : . . . يعقوب عليه السلام . . دولة تقدس تعاليمهم ، تمنع العمل يوم السبت منعًا تامًا . . دولة فيها أحزاب دينية متطرفة ، وغير الدينيين منهم يخضعون

للدين أيضًا ، وجاءوا بدوافع دينية ، ويقاتلون بدوافع دينية ، هكذا كانوا يقولون ، قال موشى ديان : إن جيش إسرائيل ليست مهمته حماية المؤسسات ، إنما مهمته حماية المقدسات .

كلهم يهود ، وأنا لا أستطيع أن أفرق بين يهودى وصهيونى ، كل يهودى صهيونى، لأن أحلام التوراة وتعاليم التلمود ، تجعل كل يهودى صهيونيًا . هذا هو الأصل والنادر لا حكم له ، أنا أتكلم عن التيار العام

إن قضية فلسطين يجب أن تكون إسلامية ، إذا قاتلونا باسم اليهودية نقاتلهم باسم الإسلام ، إذا رفعوا التوراة رفعنا نحن القرآن ، إذا قالوا : التلمود قلنا : البخارى ومسلم ، إذا قالوا : الهيكل قلنا : المسجد الأقصى ، إذا قالوا : السبت قلنا : الجمعة ، ولا يفل الحديد إلا الحديد ، وحديدنا أقوى من حديدهم .

نحن أصحاب الدين الحق ، ونحن أصحاب الأرض وأهل الدار ، ندافع عن مقدساتنا ، وندافع عن ذاتنا ، وندافع عن أرضنا وعرضنا وأهلنا ، مهما يكن لدينا من ضعف مادى ، فإن الحق الذى معنا يقوينا ، وهذا ما فقهه أولئك الشباب ، الشباب الذين انطلقوا من المساجد ، هذا ما فهمته هذه الثورة الربانية الجديدة ، الثورة التى منطلقها المساجد ، ورياتها المصاحف ، وشعاراتها (لا إله إلا الله والله أكبر) .

إننا ننتظر لهذه الثورة النصر بإذن الله ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ . . . ﴾ (١) إن الذى يقاتل لا يسأل : متى هو ؟ ولكن يقول : ﴿ . . . عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ (٢) ﴿مَتَى نَصْرُ الله ، أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ ﴾ (٣) ﴿ . . . وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ، إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَـاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (٤) .

بشرنا النبى ﷺ أن المعركة مستمرة مع اليهود ، حتى ينتصر عليهم المسلمون ، حتى يقول الحجر والشجر : « يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله » (٥) . وإنا لهذا اليوم ولهذه المعركة لمنتظرون .

---

(١) ، (٢) الإسراء : ٥١ . (٣) البقرة : ٢١٤ . (٤) الحج : ٤٠ - ٤١ .

(٥) ذكره فى صحيح الجامع الصغير برقم (٧٤٢٧) ونصه كاملاً : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل =

اللهم انصرنا على أعدائك وأعدائنا وأعداء العرب والمسلمين ، اللهم آمين ، أُدعو ربكم يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

إذا كانت ثورة المساجد تؤدى دورها ، فعلينا نحن المسلمين أن نؤدى دورنا ، أن نكون معهم ، أن نشد أزرهم ماديًا وأدبيًا ، وأن ندعو لهم فى صلواتنا ، والنصر آت لا ريب فيه .

إن الله سبحانه وتعالى الذى أيد إخواننا فى أفغانستان ، حتى أجبروا الروس على أن يجلسوا معهم وجهًا لوجه على مائدة واحدة ، سيجبر اليهود على أن ينسحبوا من أرض المسلمين بالسيف .. بالجهاد ، الجهاد الخالص المخلص .

علينا أن نشد أزر هؤلاء ،وأن نمد إليهم يد المعونة ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

اللهم انصرنا على اليهود ، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام ، اللهم رد عنا كيدهم ، وفل حدهم ، وأذهب عن أرضك سلطانهم ، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين ﴿ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) . ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣) اللهم آمين .

﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلاةَ ، إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤) .

= المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم ، يا عبد الله هذا يهودى خلفى ، فتعال فاقتله إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود».

(١) يوسف : ٢١ .
(٢) آل عمران : ١٤٧ .
(٣) الحشر : ١٠ .
(٤) العنكبوت : ٤٥ .

اتفاقية غزة وأريحا [1]
من مأساة البوسنة إلى مأساة فلسطين

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

قُدّر علينا أن نعيش حتى نرى الإسلام يُنَاوشَ بالسهام من كل جانب من الجوانب، وتصب عليه سياط العذاب من كل فئة من الفئات . تفرق الكفر شيعًا وأحزابًا ، ولكنهم اجتمعوا على هذا الدين وعلى أهله ، فالكفر ملة واحدة ، والله تعالى يقول : ﴿ ... وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[2] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴾ [3] .

فلا عجب أن نرى فى هذا العصر ، كل فئات الشرك والكفر ، تتآمر على المسلمين ، تريد أن تقتلع جذورهم ، وأن تهدم عليهم بنيانهم ، وأن تأخذهم من دينهم وعقيدتهم .

اجتمع على ذلك اليهود والذين أشركوا والصليبيون الجدد ، هذا ما نراه على خريطة الحياة فى عصرنا .

الصليبية الجديدة فى أوربا نراها فى أولئك الصربيين . هؤلاء الوحوش المفترسون، الذين حدّوا أنيابهم ليأكلوا المستضعفين من المسلمين ... أهل البوسنة والهرسك .

أرادوا أن يقضوا على هؤلاء مرة واحدة ، ولكن الله سبحانه وتعالى نفخ الروح فى هذا الطين ... هذا الفتات ... هؤلاء الذين بقوا من حكم الشيوعية نحو نصف قرن .. هؤلاء الذين كانوا تحت وطأة الاستبداد والتسلط الاستبدادى الشيوعى الأحمر ، تحت حكم (تيتو) ..هؤلاء الذين عزلوا عن الإسلام ، فلم يكادوا

---

(١) وقعت الاتفاقية فى ١٣/٩/١٩٩٣ بواشنطن .

(٢) الجاثية : ١٩ .

(٣) الأنفال : ٧٣ .

يعرفوا عنه شيئًا إلا مجرد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) حتى الأسماء لم تعد إسلامية ، حتى الختان ، لم يكن الكثيرون منهم يختتون أبناءهم الذكور (ألف باء الإسلام) لم يكونوا يعرفونها ، عزلوا عن جسم الأمة الإسلامية ، وجهّلوا بالإسلام ، ثم شاء الله أن تنهار الشيوعية فى بلادها الأم .

الشيوعية التى كانت تحلم بأن تغزو العالم ، وغزت أفغانستان لتنطلق منها إلى بلاد المسلمين ، وتصل هنا إلى الخليج وإلى ما بعد الخليج ، شاء الله أن تنهار الشيوعية ، وتزول دولتها ، ويذهب ريحها .

وكان مما سلطت عليه الشيوعية ما كان يسمى (يوغسلافيا) وانقسمت يوغسلافيا، انقسم الكروات وأقاموا لهم دولة اسمها (كرواتيا) ولما أراد المسلمون فى (البوسنة والهرسك) أن يكون لهم ما للكروات ، وصوّت لذلك ، ونالوا أغلبية باسم الديمقراطية التى يتغنى بها الغرب ، واعترف الغربيون أنفسهم واعترفت الأمم المتحدة بالدولة الجديدة ، ولكن كيف تقوم دولة فيها رائحة الإسلام ، فيها بقايا الإسلام ، تحمل عنوان إسلام ما فى أوربا ؟! هذا ما جن له جنون الغرب كله .

وتآمر هؤلاء وحملوا الصليب من جديد ، ليعلنوها حربًا على الإسلام ، حربًا على المسلمين . كانوا يظنون أن هؤلاء سيسقطون بعد أسبوع أو أسبوعين ، هذا ما قدر لـ (سراييفو) أنها لن تحتمل أكثر من أسبوعين أو ثلاثة .

ولكن هؤلاء الذين لم يكونوا يعرفون من الإسلام إلا القليل ، والأقل من القليل، أيقظتهم الأحداث الهائلة ، والقوارع النازلة فجأة ، ليتعرفوا على الإسلام .

حينما وجدوا الناس يقاتلونهم من أجل الإسلام ، يقطّعون رقابهم من أجل الإسلام ، يهدمون عليهم بيوتهم من أجل الإسلام ، يغتصبون أمهاتهم وزوجاتهم وبناتهم من أجل أنهن مسلمات ، يخربون عليهم مساجدهم ، يدمرون عليهم مدارسهم ، يحرقون مزارعهم وحقولهم ، لا لذنب إلا لأنهم مسلمون .

لهذا بحثوا عن هذا الإسلام الذى لا يعرفه ، وأرادوا أن يتشبثوا به وبدأوا يحفّظون أبناءهم سورًا من القرآن ، يحفظونهم سورة (الفاتحة) وسورة (الإخلاص) وسورة (العصر) بعد أن كانوا لا يحفظون إلا نشيد :

أيها الرفيق تيتـــــو لا نحلف إلا باسمك

أصبحت أناشيدهم الجديدة : سور القرآن ، وقصار السور من كتاب الله . هؤلاء استطاعوا أن يصمدوا ! وما الذى جعلهم يصمدون ويستمرون ويقاتلون هذه القوة العاتية . . الجيش الصربى الذى يعتبر رابع الجيوش فى أوربا ، وهم لا يملكون شيئًا يذكر من الأسلحة؟!

وحرّمت هيئة الأمم المتحدة وحرّم مجلس الأمن الدولى عليهم وصول السلاح . حظر بيع السلاح ، حتى لا يستمر القتال ، ولا يكثر سفك الدماء ! يعنى هذا أنهم أرادوا أن يكون القتل من جانب واحد فحسب ! أى أرادوا أن يقتل المسلمون بسرعة، وتنتهى القضية .

كيف يُمكّن طرف واحد من كل الأسلحة ، والطرف الآخر يحظر عليه أدنى سلاح؟

ولكن هؤلاء المسلمين الجدد ، بما نفخ فيهم من روح الإيمان الجديد ، استطاعوا أن يصنعوا ذخائر للأسلحة بأيديهم ، واستطاعوا أن يعيشوا رغم الحصار المضروب عليهم . . يعيشوا بأقل القليل ، ويزرعوا الخضروات فى البيوت التى يعيشون فيها حتى يأكلوا ، ويأكلون القليل ، ويكفيهم القليل ، ويؤثر بعضهم على بعض ﴿. . .وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . . . ﴾ (١) .

هؤلاء ما الذى جعلهم يصمدون ، ويثبتون ، ويقفون كالطود الشامخ ستة عشر شهرًا ؟ إنه الإسلام الجديد ، إنه الإيمان الذى خالطت بشاشته قلوبهم ، وسرى فيهم مسرى الماء فى العود ، أنشأهم شيئًا آخر .

ولذلك يقول الكثير منهم ممن لقيناهم : إن هذه نعمة من الله علينا ، هذه المحنة فى طيها منحة ، قد كان يمكن أن نعيش ، ولكنا سنعيش غير مسلمين ، اليوم يموت منا من يموت ولكن من يحيا منا سيكون مسلمًا ، ليس المهم أن نعيش ولو بغير دين، إنما المهم أن نعيش مؤمنين .

هذا منطق هؤلاء أيها الإخوة .

---

(١) الحشر : ٩ .

ومن هنا نقول : إنه رغم قساوة الظروف المحيطة بإخواننا ، ورغم غلظ المحنة التى يمرون بها ، فإن من وراء هذه المحنة منحًا ، ورب ضارة نافعة ، ومن الشر ما يأتى بالخير ، والخير قادم إن شاء الله لقد أرادوا أن يقتلعوا الإسلام من شرق أوربا ، وألا تقوم للإسلام قائمة ، ولا يبقوا فيه من باقية ، ولكنهم باؤوا بالإخفاق .

وبقى الإسلام ، وسيظل الإسلام ، وسيخرج من ضئضىء هؤلاء من يرفع راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

هذا ما صنعته الصليبية الجديدة . . . الصليبية الغربية ، فى عصر يتنادى الناس فيه بحقوق الإنسان . . بميثاق الأمم المتحدة . . بحق الشعوب فى تقرير المصير ، وكأنهم يقولون : إن الشعوب كلها لها حقها فى تقرير المصير ، إلا الشعوب الإسلامية . . إلا أن يكون الشعب مسلمًا .

ولكن هؤلاء ليسوا هم الذين يملكون هذا الكون ، الذى يملك هذا الكون ربه عز وجل ، إن الذى هدم الاتحاد السوفيتى يمكن أن يهدم هؤلاء ، والله لن يبقى الظلم يتحكم فى العباد ، ويذل الرقاب ، إن دولة الباطل ساعة . ودولة الحق إلى قيام الساعة ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ . . . ﴾ (٢) ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ . . . ﴾ (٣) . صدق الله العظيم .

هذا ما صنعته الصليبية فى أوربا .

ونجد على الجانب الآخر فى الشرق : الوثنية المتعصبة . . الهندوسية التى تذبح المسلمين بغير حساب ، وتهدم مساجدهم ، وتهدم وجودهم ، هذا ما نسمعه ونقرأه ونراه ، حتى أن أحد علماء المسلمين الكبار قال : كانت تعد لنا مجزرة هائلة . والمسلمون فى الهند ليسوا شيئًا قليلاً ، إنهم ما يقرب من مائتى مليون ، يحاولون أن يقللوا العدد فيقولوا : المسلمون فى الهند مائة وخمسون مليونًا إنما هم حوالى مائتى

---

(١) الإسراء : ٨١ . (٢) الأنبياء : ١٨ . (٣) الرعد : ١٧ .

مليون أو يزيدون ، أى ما يقارب العالم العربى كله - قال لى هذا العالم : ولكن الأحداث التى حدثت فى (بومبى) جعلت هؤلاء يعيدون حساباتهم من جديد .

لا بد من الوقوف فى وجه الباطل ، لا بد من الصمود أمام الطغيان الظالم، لا يجوز للمسلم أن يستسلم ويلقى السلاح مهما تكن قوة أعدائه .

وثالثة الأثافى أيها الإخوة : هو ما يجرى فى قضية القضايا ، فى قضية المسلمين الأولى . . قضية فلسطين . . أرض النبوات . . أرض المسجد الأقصى . . أرض أولى القبلتين . . مسرى رسول الله ﷺ .

ها نحن نرى اليوم فصلاً جديدًا من فصول هذه الرواية . لقد عايشنا قضية فلسطين منذ وعينا على هذه الدنيا ، منذ بدأنا نعى أن هناك عالمًا إسلامياً ، وأن هناك مآسٍ وقضايا له ، فكانت قضية فلسطين هى القضية الأولى التى تشغلنا ، تشغل الفكر ، وتشغل القلب ، وتشغل اللسان ، فى كل سنة . . فى ذكرى ما سمى وعد (بلفور) . . فى (٢ نوفمبر) بلفور وزير الخارجية البريطانى الذى وعد اليهود أيام الحرب العالمية الأولى بوطن قومى لهم ، وقد علق على ذلك من قال : من لا يملك وعد من لا يستحق ! وعلق عليه مفتى فلسطين الأكبر الحاج (أمين الحسينى) رحمه الله بقوله : إن فلسطين ليست وطنًا بغير شعب ، حتى تستقبل شعبًا بغير وطن ! .

ولكن جرت الأحداث ، وصنعت بريطانيا ما صنعت خلال الأعوام الثلاثين التى حكمت فيها فلسطين ، وهيأت لأبناء (الصهيون) الفرصة ليستوطنوا ويهاجروا من أوربا الشرقية وغيرها هجرات جماعية وفردية ، وقامت العصابات الصهيونية بأعمالها الإرهابية ، إلى أن حدث ما حدث فى سنة (١٩٤٨ م) .

قبل ذلك كان هناك قرار التقسيم الذى رفضه الفلسطينيون ، ورفضه العرب بالإجماع ، كيف يقسم بلد بين أهله وبين الغرباء عنه ؟! لا يستطيع الإنسان أن يقسّم داره بينه وبين لص جاء واقتحم عليه داره ، هل يستطيع الإنسان أن يقسم زوجته بينه وبين عادٍ عليه ، يريد أن يهتك عرضه ، وينتهك حرمته ؟!

كان التقسيم مرفوضًا ، ومع هذا حدث ما هو شر من التقسيم ، وقامت دولة (إسرائيل) ، واعترفت بها أمريكا ، ثم اعترفت بها روسيا ، وقال الجميع : إن اسرائيل خلقت لتبقى .

ودخلت الجيوش العربية السبعة إلى فلسطين ، وبالخيانات والتآمر والأسلحة الفاسدة التى كانت تقاتل بها بعض الجيوش ، انهزمت الجيوش السبعة أمام العصابات .

كنا نقول عن إسرائيل ، وكانت أجهزة إعلامنا المقروءة والمسموعة - لم تكن هناك أجهزة مرئية فى ذلك الوقت - الصحافة ومثلها الإذاعة كانت إذا ذكرت إسرائيل تقول : إسرائيل (المزعومة) بين قوسين (المزعومة) وظللنا سنوات نقول عن إسرائيل : (المزعومة) .

ثم خجلنا من أنفسنا حينما كانت هذه المزعومة تركل هذه الجبهة وتصفع هذه الجبهة ، وتعتدى هنا وهناك ، ولا يملك العرب المعتدى عليهم إلا أن يشجبوا وينكروا هذا العدوان ، ويحتجوا لدى مجلس الأمن وهيئة الأمم ، وهناك آلاف الاحتجاجات والاستنكارات .

بعد هذا خجلنا من أنفسنا أن نقول عن إسرائيل : (المزعومة) بعد أن أوشكنا أن نكون نحن : المزعومين ! .

وظل هذا الوهم إلى أن هيأ الله الفرصة لجهاد فلسطينى يقوم على أكتاف أبناء فلسطين أنفسهم ؛ وقامت (فتح) وقامت فصائل مختلفة ، تجاهد وتنادى : ثورة حتى النصر . إلى أن قامت حركة المقاومة الإسلامية . . الجهاد باسم الإسلام . . ثورة المساجد ، الثورة التى انطلقت من بيوت الله ، وكانت صيحاتها من فوق المآذن . . من ميكروفونات المآذن : حى على الجهاد . . حى على الجهاد ، راياتها : المصاحف . . القرآن الكريم مرفوعًا ، شعاراتها : لا إله إلا الله . . والله أكبر ، أناشيد أبنائها وأشبالها :

خيبر خيبـر يا يهـــــود جيش محمد سوف يعود

هذه الثورة المسجدية الإيمانية قلبت الموازين وجعلت هؤلاء يحسبون ألف حساب لهذه الروح الجديدة ، فما كانوا يخافون كثيرًا أن يكون الجهاد باسم (الوطنية) أو تحت شعار (القومية) إنما الذى كان يخيف يهود وأبناء صهيون : أن ينطلق الجهاد باسم الله . . باسم الإسلام .

كانوا يريدون أن يكون جهادهم أو نضالهم أو قتالهم هو تحت اسم الدين . .

تحت اسم التوراة . . التلمود ، أما المسلمون فما كانوا يحبون أن ينطلق لهم جهاد تحت راية الإسلام ، ولكن هذا الذى حدث .

ومن هنا كان الضغط المستمر على المقاومة الإسلامية ، وكان تكسير العظام ، وكان القتل ، وكان التشريد والإبعاد ، وكان السجن والاعتقال ، وكان هدم البيوت . . إلى آخره ، ولكن لم يفت ذلك فى عضد هؤلاء المجاهدين الجدد . إنه الإسلام . . الإسلام أنشأهم خلقًا جديدًا ، يرون أن الموت فى سبيل الله هو عين الحياة .

ما أخشى ما يخشاه الناس ؟ الناس يخشون على أمرين : يخشون على الرزق ، ويخشون على العمر . والرزق بيد الله ، والعمر بيد الله ، لا يستطيع أحد أن ينقص من رزقك لقمة أو درهمًا ، ولا يستطيع أحد أن يؤخر أجلك يومًا أو ساعة أو لحظة من زمن ، الأرزاق والآجال بيد الله .

ولهذا لم يخف هؤلاء من الموت ، لم يبالوا أوقعوا على الموت ، أم وقع الموت عليهم ، فإما أن نعيش سعداء ، وإما أن نموت شهداء . إنما هى إحدى الحسنيين ﴿وَلا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ ، بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لا تَشْعُرُونَ ﴾(١) ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(٢) . هذه الروح الجديدة وهذا الجهاد الجديد ، هو الذى جعل أبناء صهيون يفكرون تفكيرًا جديدًا .

دعوكم من كل ما يكتب ويقال أحيانًا . تذكر وكالات الأنباء وتقريرات الصحف الأجنبية والعالمية ما وراء السطور ، قالت (رويتر) : إن الذى جعل الإسرائيليين يعجلون بالاتفاق الجديد ، هو خوفهم من تنامى الأصولية الإسلامية .

إن هذه الأصولية يصلب عودها يومًا بعد يوم ، قامت ثورة إسلامية فى إيران ، ووصل حكم إسلامى إلى السودان ، وفاز إسلاميون فى الأردن ، وفى اليمن ، وأوشك الإسلاميون فى الجزائر أن يصلوا إلى الحكم بطريق ديمقراطى و . . و . . إلى آخره ، وهذا هو الخطر .

---

(١) البقرة : ١٥٤ .

(٢) آل عمران : ١٦٩ .

العالم كله الآن يتنادى بالتحذير - أقصد العالم الغربى اليهودى والصليبى - يتنادى بالتحذير مما سموه : الخطر الأخضر ، يقصدون الخطر الإسلامى .

زال الخطر الأحمر الذى كان يتمثل فى الشيوعية العالمية بقيادة الاتحاد السوفيتى ، والخطر الأصفر الصينى لم يعد يخوفهم ، الخطر الجدير هو : الخطر الإسلامى .

هل الإسلام خطر والمسلمون بهذا الضعف ؟! والمسلمون فى مؤخرة الأمم ؟! وفى ذيل القافلة ؟! كان يعتبر هذا خطراً تحشد القوى للتخويف منه ، وتضخيم مساطره ، وغرس هذه المعانى فى العقول والنفوس ؟!

صحيح أن الإسلام ضعيف الآن ، ولكنهم يقولون : لقد عرفنا من طبيعة الإسلام أنه يكون ضعيفًا ثم سرعان ما يقوى ، متفرقًا ثم سرعان ما يتجمع ، نائمًا ثم سرعان ما يستيقظ ، إذا وجد من يقود الأمة باسم الله ، ومن يخاطبها بكلمة الله ، فسرعان ما يظهر هذا العملاق ، ويخرج من قمقمه ، ويتحدى الدنيا ، كما فعل ذلك أيام صلاح الدين ، وأيام قطز ، وأيام محمد الفاتح وغيرهم من الأبطال .

إنهم يخشون أن يعود صلاح الدين من جديد ، هذا ما يخشاه هؤلاء ، ولذلك سارعوا لمثل هذا الاتفاق ، الذى لا يعطى للشعب الفلسطينى ما كان يتنادى به من سنين طويلة : من حق تقرير مصيره ، وإقامة دولته الوطنية المستقلة على كامل ترابه، وإعادة اللاجئين المشردين إلى أهليهم وديارهم وأوطانهم التى أخرجوا منها بغير حق، وأن تكون عاصمة هذه الدولة المستقلة : القدس الشريف ، هذا ما كانوا يتنادون به .

ولكن - للأسف - لم نجد هذا فى الاتفاق الجديد ، فمما قاله الذين مثلوا الجانب الفلسطينى : إننا نأمل أن تحل المشكلات الصعبة فى المرحلة القادمة . . مشكلات القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود فإذا كانت هذه المشكلات معلقة ، فما الذى حُل من مشكلات إذن ؟!

إن (رابين) عشية ذهابه إلى (واشنطن) لحضور حفل التوقيع ، صرح لوكالات الأنباء : أن القدس ستظل العاصمة الموحدة الدائمة لإسرائيل ، وأن علم فلسطين لن يخفق فوقها يومًا من الأيام .

أراد بذلك أن يبلغ رسالة إلى الجانب الفلسطينى : أن هذه القضية أحد الثوابت التى لا تقبل التغيير أو التعديل أو التنازل .

وفى كلمته فى حفل التوقيع قال : نحن قادمون من (أورشليم) أو من (القدس) العاصمة التاريخية والأبدية للشعب اليهودى .

هل يمكن أن نقبل تنازلاً عن القدس ؟ عن المسجد الأقصى ؟ عن أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين ؟ هل يمكن أن يصبح هذا أمرًا هامشيًا يترك إلى نهاية المفاوضات ، بعد أن يكون كل شىء قد تم ؟ وتم الاعتراف ، وتم التطبيع ، وتم الاختراق ، وتم ، وتم ؟ ماذا يملك الذين يمثلون فلسطين عند ذلك ؟ هل يرجعون فى كل ما تم إذا تصلب الجانب الإسرائيلى ، وهو متصلب من اليوم .

كيف نفرط فى القدس ؟ كيف نسكت عن اللاجئين . . الملايين الأربعة المشردين؟

ذكر (رابين) فى كلمته : يهود الشتات . . اليهود المشتتين ، وهؤلاء اليهود المشتتون كما يسميهم ، يهود عاشوا فى أقطارهم قرونًا من الزمن ، ولدوا فيها ، ونشأوا هم وآباؤهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم ، ومع هذا يسميهم : يهود الشتات، وسكتنا نحن عن فلسطينى الشتات ، وكثير منهم ولد فى فلسطين ، عاش فيها ونشأ فيها وشهد بنفسه مجازر (دير ياسين) وغيرها ، كيف نسكت عن هذا ، ولا نقول كلمة واحدة عن هؤلاء المشتتين ، وما عانوه ، وما يعانونه ؟! هذه قضية اللاجئين .

قضية الاستيطان : ما زال المستوطنون يصولون ويجولون ، هؤلاء الذين جاءوا من خارج فلسطين ، أصبحوا يتحكمون فى أرض فلسطين ، وفى أهل فلسطين ، فى الضفة الغربية وغيرها .

الاتفاق يعطى القوات الإسرائيلية الحق فى التحرك بحرية فى الطرق ما بين غزة وأريحا ، أين الانسحاب إذن ؟! كيف رضينا بالهوان ؟! كيف قبلنا هذا الدون ؟! .

لقد وقفنا ضد اتفاقية (كامب ديفيد) ، وقلنا : إنها خيانة ، فما هو الذى جعلنا نقبل ما هو شر منها ؟! ولهذا البعض الآن يقولون : إن (كامب ديفيد) الأولى خير من (كامب ديفيد) الثانية ، كما قال أبو الطيب المتنبى :

يقضى على المرء فى أيام محنتـــه حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن!

ما السر فى هذا ؟ إنه الوهن ، الوهن الذى أصاب القائمين على هذه القضية ، وهو ما حذر منه القرآن فقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَلا تَهِنُواْ - أى لا تضعفوا - وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (١) .

هؤلاء يقولون : ليس معنا أحد ، ذهبت روسيا التى كانت تعضدنا ، والعالم العربى ممزق وضعيف ، فلم يبق أمامنا إلا أن نقبل ما يعرض علينا .

هذا هو الوهن ، الوهن الذى يصيب الأمم فى مرحلة الضعف ، وحذر منه النبى ﷺ الأمة فى المرحلة الغثائية ، حينما تصبح كثرة كغثاء السيل ، قال ﷺ : «ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن - قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » (٢) .

هذا هو الوهن النفسى ، أن يخلد الناس إلى الدنيا . . إلى المناصب . . إلى الشهوات ، ويكرهوا الموت فى سبيل الله .

لهذا نهى القرآن عن الاستسلام لهذا الوهن والضعف ﴿ فَلا تهِنُواْ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ لأن الإسلام يعلو ولا يعلى - ﴿ . . وَاللهُ مَعَكُمْ . . ﴾ إذا تخلت عنكم روسيا أو غيرها ، حسبك أن يكون الله معك ، ومن كان الله معه فلن يضيع ، ومن نصره الله فلا يغلب ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ . . . ﴾ (٣) .

لنأخذ مثلاً من إخوتنا فى البوسنة والهرسك ، هؤلاء الصامدون الذين رأيناهم كما نشرت الصحف من أيام : ثمانية عشر رجلاً منهم فى سجن من سجون

---

(١) محمد : ٣٥ .

(٢) من حديث ثوبان الذى أخرجه أبو داود وأحمد . وأوله : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قال قائل : يا رسول الله ومن قلة يومئذ ؟ قال : لا بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل . . . » (شرح البغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ١٦/١٥ ، حديث ٤٢٢٤) .

(٣) آل عمران : ١٦٠ .

الكروات ، يتقسمون رغيفًا من طول ما أهلكهم الجوع ، كل واحد يأخذ منه لقيمة، ومن شدة العطش لعقوا بأفواههم الثرى ، عسى أن يجدوا فيه بعض الندى .

هؤلاء صمدوا فأين أبناء فلسطين ؟ لماذا لا يصمدون ؟ لماذا يهينون ويستكينون ؟ وقد قال الله تعالى فى شأن قوم : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ - وفى قراءة قتل معه ربيون كثير - ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1]. أى إنهم اتهموا أنفسهم : إذا كنا أصبنا فى بعض المعارك ، فلا بد أن نكون قد أذنبنا أو قصرنا، ولذلك سألوا الله المغفرة ، قبل أن يسألوه التثبيت والنصر .

نهى القرآن عن الاستسلام للوهن ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ [2] ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3] ﴿وَلا تَهِنُوا فِى ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ، إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ . . .﴾ [4] إن قلتم إننا قد ضحينا وعانينا وتعبنا ، فالعدو أيضًا يضحى ويعانى ويتعب ، ولكن فرق بين من يعانى فى سبيل الله . . . فى سبيل الحق . . فى سبيل الشرف والعدل . . ومن يعانى ويتعب فى سبيل الطاغوت . . فى سبيل الظلم والباطل ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ . . . ﴾ .

يا أيها الإخوة : ربما يقول البعض : هذا شأن فلسطينى ، وهل نحن فلسطينيون أكثر من الفلسطينيين ، وملكيون أكثر من الملك كما يقال ؟ ونقول : صحيح أن هذا ربما كان فى المقام الأول شأنًا فلسطينيًا ، ولكن هل دعيت السلطة الشرعية الوطنية الأولى للفلسطينيين فى مثل هذا الأمر الجلل ؟ هل دعى المجلس الوطنى الفلسطينى قبل أن يصدر قرار ويفاجأ بالأمر الواقع ؟ لم يحدث .

---

(١) آل عمران : ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٢) محمد : ٣٥ .
(٣) آل عمران : ١٣٩ .
(٤) النساء : ١٠٤ .

ثم إن هناك فصائل لها شأنها فى الجهاد الفلسطينى ، إسلامية وغير إسلامية ترفض هذا ، لم يجمع إذن الشعب الفلسطينى . ثم من يقول :إن فلسطين . . إن المسجد الأقصى . . إن قبة الصخرة . . إن أرض الإسراء والمعراج ، هى ملك للفلسطينيين وحدهم ؟ لا . . إنها ملك المسلمين جميعًا ، ملك هذه الأمة من مشرق الأرض إلى مغربها ، ملك الأجيال الإسلامية كلها . حتى لو وهن هذا الجيل وتخاذل ، فليس من حقه هذا ، لأنه يقطع الطريق على الأجيال القادمة .

فلسطين أرض المسلمين ، إن الذى حرر المسجد الأقصى من الصليبيين من قبل ، بعد بقائه تسعين عامًا فى أيديهم لم يكن فلسطينيًا ، ولم يكن عربيًا ، بل كان رجلاً كردى الأصل ، وإن عرّبه الإسلام . كان كرديًا اسمه « صلاح الدين الأيوبى » هذا هو الذى هيأ الله على يديه النصر ، وقامت معركة حطين ، وفتح بيت المقدس ، لهذا نقول : إن هذه القضية قضية المسلمين حيثما كانوا .

لا ينبغى أن تسقط الراية أبدًا ، سيظل الجهاد مستمرًا ، وعندنا بشائر من رسول الله ﷺ ، إن المعركة بيننا وبين اليهود قائمة ، نقاتلهم ويقاتلوننا . قال ﷺ : «تقاتلكم اليهود - وفى رواية تقاتلون اليهود - فتسلطون عليهم ، حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر والشجر فيقول الحجر : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله»[1] . وفى بعض الألفاظ : « حتى يختبى اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى ، فتعال فاقتله . . . » [2] . هذا ما رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر ، وعن أبى هريرة .

وروى عبد الله بن أحمد فى المسند والطبرانى فى معجمه الكبير بسند رواته ثقات، عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين ، ولعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم أو جابههم ، إلا ما أصابهم من لأواء (أى من أذى كأن يسقط منهم شهداء وضحايا) قالوا : يا رسول الله : وأين هم ؟ قال : « ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس » [3] .

---

(١) ذكره فى صحيح الجامع الصغير برقم (٢٩٧٧) .

(٢) سبق تخريجه ص (١٧٢) ، وص (٢٢٢) .

(٣) هو فى المسند (٥/ ٢٦٩) وفى مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٨) وقد تقدم تخريجه ص (٢١٦) .

هؤلاء المرابطون مستمرون . بشائر رسول الله ﷺ تعطينا الأمل وتزرع فى نفوسنا الرجاء ، أن هذه الأمة منصورة ، وأن هناك طائفة ستظل مستمسكة بعروة الحق لا انفصام لها ، لا تستخذى . . لا تنحنى . . لا تستسلم ، مهما عصفت الريح من حولها ، لأنهم يعتقدون أن نصر الله آت لا ريب فيه ، وأن هناك معركة قادمة ، سيكون كل شىء فيها مع المسلمين ، ولصالح المسلمين ، حتى الحجر والشجر ينطق . . هل ينطق بلسان الحال ، أو ينطق بلسان المقال ؟ أيا ما فسرنا هذا الأمر ، فعندما يأتى النصر يكون كل شىء معنا . وعندما يقدر عليك الخذلان ، فكل شىء ضدك ، حتى السلاح الذى فى يديك ، كما رأينا هذا فى سنة ١٩٦٧ م .

إن المعركة قادمة ، وفلسطين هى أرض الإسلام ، والأقصى يجب أن يكون إسلامياً ، وفى يد المسلمين ، والقدس هى عاصمة فلسطين .

إننا ينبغى أن نؤكد على أمور لا بد منها وهى :

إن المعركة دينية إسلامية (١) ، هذه هى الحقيقة ، ومن أجل ذلك نتحدث عنها على هذا المنبر ، لا يظن بعض الناس أننا نتحدث فى السياسة ، نحن نتحدث فى

---

(١) وهذا ما نادى به الشيخ فى أكثر من كتاب من كتبه ، أو خطبة من خطبه ، أو محاضرة من محاضراته ، وهو ما ينبىء به لفظ الحديث الصحيح : « يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون . . . فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله . . . » فالحديث حدد أوصاف المقاتلين الذين ينصرهم الله على اليهود من خلال قوله : « المسلمون » ومن خلال نداء الحجر أو الشجر للواحد منهم : « يا مسلم ، يا عبد الله » وليس : يا عربى ، أو يا قومى ، أو يا وطنى ، ثم إننا إذا أسقطنا من حسابنا (إسلامية المعركة) وخضناها على أساس أن فلسطين أرض عربية فحسب خسرنا المعركة وكسبها اليهود .

فللعامل الدينى وزنه وأهميته ، وهذا ما يعيه اليهود جيدًا ، ويحرصون على استغلاله فى حربهم مع المسلمين . وجاء فى مذكرات (وايزمان) حول هذه النقطة ما يلى : « ولقد قابلت لورد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذى بادر بسؤالى على الفور : لماذا لم تقبلوا إقامة الوطن القومى فى أوغندا ؟ وقلت لبلفور : إن الصهيونية حركة سياسية قومية ، هذا صحيح ، ولكن الجانب الروحى منها لا يمكن إغفاله ، وأنا واثق تمام الوثوق أننا إذا اغفلنا الجانب الروحى فإننا لن نستطيع تحقيق الحلم السياسى القومى » نقلاً من كتاب (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية) للأستاذ عبد الله التل ص (٤٠١) ، ط . المكتب الإسلامى .

الدين .. فى صلب الدين ، نتحدث فى أرض الإسراء والمعراج ، وفى المسجد الأقصى. القضية إسلامية ، كما أنها من جانب (صهيون) يهودية .. يهودية لحمًا ودمًا.

هل شاهدتم وسمعتم حفل التوقيع ؟ هل سمعتم ما قال (رابين) ؟ إنه انتهز فرصة أن العالم يسمعه ، فأراد أن يؤكد يهودية القضية ، فاستشهد بالتوراة وقرأ فقرات من (سفر الجامعة) أحد أسفار العهد القديم ، وتحدث عن السنة العبرية اليهودية ، أن لهم سنة غير سنوات الناس الآخرين ، أراد أن يؤكد الهوية اليهودية . استشهد بالتوراة ، ولم نر أحدًا من وفدنا استشهد بآية من القرآن ، أو جاء على لسانه مجرد ذكر الإسلام ، أو ذكر مجرد كلمة (المسجد الأقصى) فيا للهوان ! ويا للضياع !! .

القضية إسلامية هذا ما ينبغى أن نؤكده ، والنصر ينبغى أن نؤمن به ، قد يبطىء علينا ، وهذه سنة من سنن الله ، حتى نستكمل عدده ، وحتى تمحصنا الأحداث ، ليمتحن الله ما فى صدورنا ، وليمحص ما فى قلوبنا . ولتفرز المعركة الأبطال الحقيقيين ، ويتميز الخبيث من الطيب ، ولكن النصر آت لا ريب فيه .

لا ينبغى أن نستعجل الثمرة قبل أوانها ، ونفرّط فى تاريخ الجهاد ، ويضيع دم عز الدين القسّام ، وعبد القادر الحسينى ، وأبى جهاد ، وغيرهم ، وتضيع الدماء فى دير ياسين ، وصبرا ، وشاتيلا عبثًا ، ينبغى ألا نفرط فى هذه الدماء .

فى معرض الكتاب بالدوحة الذى عقد فى ديسمبر من عام ١٩٩٣م ، وأقيمت فيه ندوة شعرية ، ألقيت قصيدة أنكر فيها ما يعرض فى مؤتمرات السلام هذه ، أنكر فيها أن نرضى بحكم لكل ما بقى من فلسطين تحت الرعاية الصهيونية والعلم الإسرائيلى، وقلت فيما قلت فى ذلك الوقت :

فيا عجبًا لمن يجـــرى ... وراء سرابه النفـــــس
يظن له بــه ريّـــــــا ... ويرجع فارغ الكـــأس
يفرط فى دم الشهـــداء ... يا للعار والبـــــؤس !
يبيع الأرض والتاريـــخ ... بالأرخص من فلـــــس

بحكم فى حمى صهيون يا للثمن البخـــــس !
فلا دولتـــه قامـــــت ولا أبقى على النفـــس
وضاع جهاد أجيـــــال فقد دفنوه فى الرمـــس
جهود كلهـــا ذهبـــت « كأن لم تغن بالأمس »
فما معنى فلســـــطين بلا أقصى ولا قـــدس ؟
فلسطين بلا قـــــدس كجثمان بـــلا رأس [1]

ولكنا قبلنا الجثمان بغير الرأس !!

القضية إسلامية ، والنصر آت ، وينبغى أن نعلّم ذلك لأولادنا ، ونلقنه أبناءنا هؤلاء المظلومين . . إننا نشفق والله على أبنائنا وأحفادنا الذين ظللنا نحفظهم أناشيد العودة ، وأغانى البطولة والقدس والأقصى ، ثم بعد ذلك نسكت عن هذا كله مرة واحدة .

إسرائيل التى قلنا : إنها خطر اقتصادى وثقافى ودينى وسياسى وعسكرى و . . و . . الآن نمد إليها اليد ، ونرى أعداء الأمس شركاء اليوم ! ماذا نقول لأبنائنا وأحفادنا ؟ ينبغى أن نحمى أبناءنا من الخطر القادم الآن ، وهو عملية غسيل المخ .

احذفوا إذن من القرآن : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ . . . ﴾[2] ، احذفوا إذن من القرآن : ﴿ . . . وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ . . . ﴾[3] ، احذفوا من البخارى ومسلم : « تقاتلون اليهود فتسلطون عليهم . . . »[4] ، اغسلوا أمخاخ أبنائكم وأحفادكم !!

---

(١) انظر : القصيدة بكاملها فى ديوان الأستاذ القرضاوى الذى صدر مؤخراً تحت عنوان المسلمون قادمون ص (٩٣ - ٩٧) .

(٢) المائدة : ٨٢ . (٣) الأعراف : ١٦٧ .

(٤) تقدم ذكره كاملاً فى ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

لا والله ، سنثبت ، ونصبر ، ونقاوم ، القضية لم تنته بعد ، وهى مستمرة . كل ما نريده من أبناء فلسطين وقد حدث ما حدث : ألا يضرب بعضهم رقاب بعض ، ألا يسفك بعضهم دماء بعض ، حرام أن تراق قطرة دم فلسطينية من أجل ما يريده اليهود ، دعوا الانتفاضة تعمل عملها خارج غزة وأريحا فى الأرض المحتلة الباقية ، وهذا أضعف الإيمان لأننا ظللنا سنين نقول : إسرائيل كلها قائمة على الاغتصاب والعدوان ، وما قام على الباطل فهو باطل ، ولا حق لها فى الوجود .

حتى لو رضينا بالذل .. بما لا يقبله مسلم بمنطق الإسلام والإيمان ، حتى لو رضينا بهذا ، لا يجوز أن تقمع الانتفاضة ، ويقمع الجهاد من أجل حماية أمن اليهود ، لا يجوز هذا .

هذا ما نرجوه من إخوتنا فى فلسطين أمام هذا الوضع الجديد .

يا أيها الإخوة : نحن فى أوضاع ربما يقابلها بعض الناس بالتشاؤم أو باليأس ، ولكنى أقول والله : إن هذه الأوضاع لن يكون من ورائها إلا إيقاد الجذوة ، وإلا استمرار الصحوة ، وإلا نفخ روح القوة ، وإلا أن هذا العملاق سينقض من جديد .

لقد طالما أصاب الإسلام محن طوال تاريخه ، منذ حروب الردة ، ومنذ حروب التتار ، ومنذ غزوات الصليبيين ، ومنذ الاستعمار الذى احتل ديار الإسلام ، ولكن الإسلام لم يمت ، وهذه الأمة لم تمت ، وأن قدر الله لهذه الأمة أنها لا تموت ، وأنها ستظل تفرز الأبطال يومًا بعد يوم .

إن الذى أخرج طارق بن زياد من قديم ، وصلاح الدين الأيوبى ، ومحمد ابن مراد الفاتح ، وعبد القادر الجزائرى ، وعمر المختار ، وعز الدين القسام ، وغير هؤلاء من المجاهدين المقاتلين ، سيخرج أمثالهم وأمثالهم ، وقد أخرج ، وها نحن نرى - والحمد لله - ما يطمئن النفوس .

إن فلسطين إسلامية ، والمعركة إسلامية دينية ، لن يبنى الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى ، لن تنتصر اليهودية المنسوخة على الإسلام الخالد ، لن تنتصر التوراة المحرفة على القرآن المحفوظ ، لن ينتصر الباطل على الحق ، بل الحق

سينتصر ، لأن الله هو الحق المبين ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

أقول قولى هذا أيها الإخوة ، وأستغفر الله تعالى لى ولكم ، فادعوه يستجب لكم ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد : فقد ورد أن فى يوم الجمعة ساعة إجابة ، ولعلها تكون هذه الساعة .

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر . اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم اجعل كلمة الإسلام هى العليا ، واجعل كلمة أعداء الإسلام هى السفلى .

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام ، اللهم انصرنا على اليهود ، اللهم انصرنا على الصليبيين ، اللهم انصرنا على الوثنيين ، اللهم رد عنا كيدهم ، وفل حدهم ، وأذل دولتهم ، وأذهب عن أرضك سلطانهم ، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المسلمين .

اللهم ارفع بنا راية الإسلام واعل بنا كلمة القرآن . واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) ﴿ . . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣) .

---

(١) فصلت : ٥٣ . (٢) آل عمران : ١٤٧ . (٣) الحشر : ١٠ .

عباد الله : يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) . اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

﴿ . . . وَأَقِمِ الصَّلاةَ ، إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

وأقم الصلاة .

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .